

فضل القرآن الكريم

فضل القرآن

* عجز الإنسان عن وصف القرآن.

* من هم أعرف الناس بمنزلته؟

* حديث الرسول في فضل القرآن.

* صيانة القرآن من التلاعب.

* عاصميته للامة من الاختلاف.

* خلوده وشموله. فضل قراءة القرآن.

* الأحاديث الموضوعة في قراءته.

* التدبر في القرآن.

* معرفة تفسيره.

* حث الكتاب، والسنة، وحكم العقل على التدبر في القرآن.

(16)

من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يتصاغر أمام هذه العظمة، وقد يكون الاعتراف بالعجز خيرا من المضي في البيان. ماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلو كعبه؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسمو مقامه؟ وكيف يستطيع الممكن أن يدرك مدى كلام الواجب؟

وماذا يكتب الكاتب في هذا الباب؟ وماذا يتفوه به الخطيب؟ وهل يصف المحدود إلا محدودا؟.

وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلة وفخرا أنه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل:

{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}{(17: 9)}. {كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد}{(14: 1)}.

{هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين}{(3: 138)}.

(17)

وقد ورد في الأثر عن النبي (صلى الله عليه وآله): «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(1).

نعم من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يكل بيان فضل القرآن إلى نظراء القرآن، فإنهم أعرف الناس بمنزلته، وأدلهم على سمو قدره، وهم قرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية، أما جدهم الأعظم فهو الصانع بالقرآن، والهادي إلى أحكامه، والناشر لتعاليمه.

وقد قال (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»(2).

فالعتره هم الأدلاء على القرآن، والعالمون بفضله. فمن الواجب أن نفتصر على أقوالهم، ونستضيء بإرشاداتهم. ولهم في فضل القرآن أحاديث كثيرة جمعها شيخنا المجلسي في (البحار) الجزء التاسع عشر منه(3). ونحن نكتفي بذكر بعض ما ورد:

روى الحارث الهمداني(4) قال:

«دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت: ألا ترى أن أناسا يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال. قد فعلوها؟ قلت. نعم، قال. أما إني قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول. ستكون فتن، قلت. وما الخرج منها؟ قال. كتاب

(1) بحار الأنوار: 2 / 100، الحديث 59. وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن الحديث: 2850. و سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، الحديث 3223.

(2) مسند احمد: كتاب مسند المكثرين، الحديث: 10681. وسنن الترمذي: كتاب المناقب، الحديث: 3720. راجع بقية المصادر في قسم التعليقات رقم (1). (المؤلف).

(3) من الطبعة القديمة المعروفة بطبعة الكمباني. راجع الجزء 92 من الطبعة الحديثة الباب: 1.

(4) انظر ترجمة الحارث وافتراء الشعبي عليه في قسم التعليقات رقم (2). (المؤلف).

(18)

الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: {إنا سمعنا قرآنا عجبا} هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن

عمل به اجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور» (1).

وفي الحديث مغاز جليلة يحسن أن نتعرض لبيان أهمها: يقول (صلى الله عليه وآله): «فيه نبأ ما كان قبلكم. وخبر ما بعدكم» والذي يحتمل في هذه الجملة وجوه:

الأول: أن تكون إشارة إلى أخبار النشأة الأخرى من عالمي البرزخ والحساب والجزاء على الأعمال. ولعل هذا الاحتمال هو الأقرب، ويدل على ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته: «فيه نبأ من كان قبلكم والحكم فيما بينكم وخبر معادكم»(2).

الثاني: أن تكون إشارة إلى المغيبات التي أنبأ عنها القرآن، مما يقع في الأجيال المقبلة.

الثالث: أن يكون معناها أن حوادث الأمم السابقة تجري بعينها في هذه الأمة،

(1) سنن الدارمي: 2 / 435، كتاب فضائل القرآن، الحديث: 3197. وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، الحديث 2831، ورواه المجلسي (رحمه الله) في بحار الأنوار: 92 / 24، الباب 1. فضل القرآن وأعجازه، الحديث: 25.

(2) نفس المصدر: الحديث 26.

(19)

فهي بمعنى قوله تعالى: {لتركبن طبقا عن طبق}، (84: 19)، وبمعنى الحديث المأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله): «لتركبن سنن من قبلكم»(1).

أما قوله (صلى الله عليه وآله): «من تركه من جبار قصمه الله» فلعل فيه ضمنا بحفظ القرآن عن تلاعب الجبارين، بحيث يؤدي ذلك إلى ترك تلاوته وترك العمل به، وإلى جمعه من أيدي الناس كما صنع بالكتب الإلهية السابقة(2) فتكون إشارة إلى حفظ القرآن من التحريف. وسنبحت عنه مفصلا. وهذا أيضا هو معنى قوله في الحديث: «لا تزغ به الأهواء» بمعنى لا تغيّر عما هو عليه، لأن معاني القرآن قد زاغت بها الأهواء فغيرتها. وسنبين ذلك مفصلا عند تفسير الآيات إن شاء الله تعالى.

وأشار الحديث إلى أن الأمة لو رجعوا إلى القرآن في خصوماتهم، وما يلتبس عليهم في

عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل. ولوجوده الحكم العدل، والفاصل بين الحق والباطل.

نعم، لو أقامت الأمة حدود القرآن، واتبعت مواقع إشاراته وإرشاداته، لعرفت الحق أهله، وعرفت حق العترة الطاهرة الذين جعلهم النبي (صلى الله عليه وآله) قرناء الكتاب، وأنهم الخليفة الثانية على الأمة من بعده (3) ولو استضاءت الأمة بأنوار معارف القرآن، لأمنت العذاب الواصب، ولما تردت في العمى، ولا غشيتهم حنادس الضلال، ولا عال سهم من فرائض الله، ولا زلت قدم عن الصراط السوي، ولكنها أبت إلا الانقلاب على الأعقاب، واتباع الأهواء، والانضواء إلى راية الباطل حتى آل

(1) ورد هذا اللفظ في كنز العمال: 6 / 40، من حديث سهل بن سعد وفي صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، الحديث: 3197، «لتتبعن سنن...». انظر بقية المصادر في قسم التعليقات رقم (3).

(2) راجع «الهدى إلى دين المصطفى»: 1 / 34، لآية الله الحجة الشيخ محمد جواد البلاغي.

(3) تقدم مصادر حديث الثقلين في ص 18 وفي بعض نصوصه تصريح بأن القرآن والعترة خليفتا الرسول (صلى الله عليه وآله). (المؤلف).

(20)

الأمر إلى أن يكفر بعض المسلمين بعضاً، ويتقرب إلى الله بقتله، وهتك حرمة، وإباحة ماله، وأي دليل على إهمال الأمة للقرآن أكبر من هذا التشتت العظيم؟!!

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفة القرآن:

«ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيح، وسراجا لا يخبو توقده، وبحرا لا يدرك قعره، ومنهاجا لا يضل نهجه، وشعاعا لا يظلم ضوءه، وفرقانا لا يخدم برهانه، وتبياننا لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزا لا تهزم أنصاره، وحقا لا تخذل أعوانه، فهو معدن

الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، رياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنياه، وأودية الحق وغيظانه، وبحر لا ينزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياء لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورا ليس معه ظلمة، وحبالاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدي لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، و فلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»(1).

(1) نهج البلاغة: الخطبة: 198، راجع بحار الأنوار: 92 / 21، الباب1، الحديث: 21.

(21)

وقد استعرضت هذه الخطبة الشريفة كثيراً من الأمور المهمة التي يجب الوقوف عليها، والتدبر في معانيها. فقلوه:

«لا يخبو توقده»(1)

يريد بقوله هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة أن القرآن لا تنتهي معانيه، وأنه غص جديد إلى يوم القيامة. فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم، ولكنها لا تختص بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم، فهي عامة المعنى.

وقد روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: {ولكل قوم هاد}(12):
(8) أنه قال:

«علي: الهادي، ومنا الهادي، فقلت: فأنت جعلت فداك الهادي. قال: صدقت إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات

القرآن ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام):

«إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا»(3).

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال لعمر بن يزيد لما سأله عن قوله تعالى:

{والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل}، (3: 21):

(1) خبت النار: خمد لهبها.

(2) بحار الأنوار: 35 / 3، 4، الحديث 1 2 باختلاف يسير.

(3) نفس المصدر: ذيل الحديث المتقدم.

(22)

«هذه نزلت في رحم آل محمد(صلى الله عليه وآله) وقد تكون في قرابتك، فلا تكونن ممن يقول للشيء: إنه في شيء واحد»(1).

وفي تفسير الفرات:

«ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلوها هم منها من خير أو شر».

إلى غير هذه من الروايات الواردة في المقام (2).

"ومنهاجا لا يضل نهجه " يريد به: أن القرآن طريق لا يضل سالكه، فقد أنزله الله تعالى هداية لخلقه، فهو حافظ لمن اتبعه عن الضلال.

"وتبينا لا تهدم أركانه " المحتمل في المراد من هذه الجملة أحد وجهين:

الأول: إن أركان القرآن في معارفه وتعاليمه، وجميع ما فيه من الحقائق محكمة لا تقبل التضعع والانهدام.

الثاني: إن القرآن بألفاظه لا يتسرب إليه الخلل والنقصان، فيكون فيها إيماء إلى حفظ القرآن عن التحريف.

«ورياس العدل وغدرانه» (3) معنى هذه الجملة: أن العدل بجميع نواحيه من

(1) الكافي: 2 / 156، الحديث: 28.

(2) مرآة الأنوار: ص 3، 4.

(3) الرياض: جمع روضة، وهي الأرض الخضرة بحسن النبات. والغدران: جمع غدير، وهو الماء الذي تغدّره السيول. والعدل الاستقامة.

الاستقامة في العقيدة والعمل والأخلاق قد اجتمع في الكتاب العزيز، فهو مجمع العدالة وملتقى متفرقاتها. «وَأَثَافِي» الإسلام» (1) ومعنى ذلك: أن استقامة الإسلام وثباته بالقرآن كما أن استقامة القدر على وضعه الخاص تكون بسبب الأثافي.

«وأودية الحق وغيطانه» يريد بذلك: أن القرآن منابت الحق، وفي الجملة تشبيه القرآن بالأرض الواسعة المطمئنة، وتشبيه الحق بالنبات النابت فيها. وفي ذلك دلالة على أن المتمسك بغير القرآن لا يمكن أن يصيب الحق، لأن القرآن هو منبت الحق، ولا حق في غيره.

«وبحر لا ينزفه المنتزفون» (2) ومعنى هذه الجملة والجمل التي بعدها: أن المتصدين لفهم معاني القرآن لا يصلون إلى منتهاه، لأنه غير متناهي المعاني، بل وفيها دلالة على أن معاني القرآن لا تنقص أصلاً، كما لا تنضب العيون الجارية بالسقاية منها.

«وآكام لا يجوز عنها القاصدون» (3) والمراد أن القاصدين لا يصلون إلى أعالي الكتاب ليتجاوزوها. وفي هذا القول إشارة إلى أن للقرآن بواطن لا تصل إليها أفهام أولي الأفهام، وسنبين هذا في ما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقد يكون المراد أن القاصدين إذا وصلوا إلى أعاليه وقفوا عندها ولم يطلبوا غيرها، لأنهم يجدون مقاصدهم عندها على الوجه الأتم.

(1) الأثافي: كأما ني جمع إثفية - بالضم والكسر - وهي الحجارة التي يوضع عليها القدر.

(2) نزف ماء البئر: نرح كله.

(3) والآكام: جمع أكم، كقصب، وهو جمع أكمة " كقصة، وهي التل.

(24)

فضل قراءة القرآن:

القرآن هو الناموس الإلهي الذي تكفل للناس بإصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والأولى، فكل آية من آياته منبع فياض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة، فالذي تروقه السعادة الخالدة والنجاح في مسالك الدين والدنيا، عليه أن يتعاهد كتاب الله العزيز أثناء الليل وأطراف النهار، ويجعل آياته الكريمة قيد ذاكرته، ومزاج تفكيره، ليسير على ضوء الذكر الحكيم إلى نجاح غير منصرم وتجارة لن تبور.

وما أكثر الأحاديث الواردة عن أئمة الهدى (عليهم السلام) وعن جدهم الأعظم (صلى الله عليه وآله) في فضل تلاوة القرآن.

منها: ما عن الإمام الباقر (عليه السلام). قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من تبر». (1).

ومنها: ما عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

«القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية» (2).

(1) الكافي: 2 / 612، الحديث: 5.

(2) الكافي: 2 / 609، الحديث: 1.

وقال (عليه السلام):

«ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات؟» (1).

وقال (عليه السلام):

«عليكم بتلاوة القرآن، فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فكلما قرأ آية رقى درجة»(2).

وقد جمعت كتب الأصحاب من جوامع الحديث كثيرا من هذه الآثار الشريفة من أرادها فليطلبها. وفي التاسع عشر من كتاب بحار الأنوار(3) الشيء الكثير من ذلك.

وقد دلت جملة من هذه الآثار على فضل القراءة في المصحف على القراءة عن ظهر القلب. ومن هذه الأحاديث قول اسحق بن عمار للمصدق (عليه السلام):

«جعلت فداك إني أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو انظر في المصحف قال: فقال لي: لا. بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت أن النظر في المصحف عبادة؟»(4).

(1) الكافي: 2 / 611، الحديث: 2.

(2) الكافي: 2 / 606، الحديث: 1. راجع بحار الأنوار، 8 / 186، الحديث 152.

(3) من الطبعة القديمة والجزء: 89 و92 من الطبعة الحديثة.

(4) الكافي: 2 / 613، الحديث: 5.

وقال (عليه السلام):

«من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره، وخفف عن والديه وإن كانا كافرين»(1).

وفي البحث على القراءة في نفس المصحف نكتة جليلة ينبغي الالتفات إليها، وهو الإلماع إلى

كلاءة القرآن عن الاندراؑ بتكثر نؑحه؁ فإنـ لو اكتفى بالقراءة؁ عن ظهر القلب لهجرت نسخ الكتاب؁ وأدى ذلك إلى قلتها؁ ولعله يؤدي أخيرا إلى انمحاء آثارها.

على أن هناك آثارا جزیلة نصت علیها الأحادیث لا تحصل إلا بالقراءة في المصحف؁ منها قوله: «متع ببصره» وهذه الكلمة من جوامع الكلم؁ فیراد منها أن القراءة في المصحف سبب لحفظ البصر من العمى والرمد؁ أو یراد منها أن القراءة في المصحف سبب لمتع القارئ بمغازي القرآن الجليلة ونكاته الدقيقة؁ لأن الإنسان عند النظر إلى ما یروقه من المرئيات تبتهج نفسه؁ ویجد انتعاشا في بصره وبصيرته. وكذلك قارئ القرآن إذا سرح بصره في ألفاظه؁ وأطلق فكره في معانيه وتعمق في معارفه الراقية وتعاليمه الثمينة یجد في نفسه لذة الوقوف علیها؁ ومتعة الطموح إليها؁ ویشاهد هشة من روحه وتطلعا من قلبه.

وقد أرشدتنا الأحادیث الشریفة إلى فضل القراءة في البيوت. ومن أسرار ذلك إذاعة أمر الإسلام؁ وانتشار قراءة القرآن؁ فان الرجل إذا قرأه في بيته قرأته المرأة؁ وقرأه الطفل؁ وذاع أمره وانتشر. أما إذا جعل لقراءة القرآن أماكن مخصوصة فإن القراءة لا تنهيا لكل أحد؁ وفي كل وقت؁ وهذا من أعظم الأسباب في نشر الإسلام.

(1) أصول الكافي: 2 / 613؁ كتاب فضل القرآن؁ الحديث: 1.

(27)

ولعل من أسرارـ أيضا إقامة الشعار الإلهي؁ إذا ارتفعت الأصوات بالقراءة في البيوت بكرة وعشيا؁ فيعظم أمر الإسلام في نفوس السامعين لما یعروهم من الدهشة عند ارتفاع أصوات القراء في مختلف نواحي البلد.

ومن آثار القراءة في البيوت ما ورد في الأحادیث:

«إن البيت الذي یقرأ فيه القرآن ویذكر الله تعالى فيه تكثر بركته؁ وتحضره الملائكة؁ وتهجره الشياطين؁ ویضیء لأهل السماء كما یضیء الكوكب الدرّي لأهل الأرض؁ وان البيت الذي لا

يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله تعالى فيه ثقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين (1)».

نعم قد ورد في الأحاديث في فضل القرآن، وفي الكرامات التي يختص الله بها قارئه ما يذهل العقول ويحير الألباب. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

"من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".

وقد ورد هذا الحديث من طرق العامة، فقد نقله القرطبي (2) عن الترمذي عن ابن مسعود وروى الكليني قريباً منه عن الصادق (عليه السلام). وإن الناظر في جوامع كتب الحديث ومفرداتها يرى من أمثال هذا الحديث الشيء الكثير في فضل القرآن وقراءته، وخواص سورته وآياته.

(1) أصول الكافي: 2 / 498، الحديث: 1. والحديث: 3، كتاب فضل القرآن.

(2) راجع تفسير القرطبي: 1 / 7. والكافي: 2 / 612، كتاب فضل القرآن، الحديث: 6.

وهناك حثالة من كذبة الرواة، توهموا نقصان ما ورد في ذلك، فوضعوا من أنفسهم أحاديث - في فضل القرآن وسوره - لم ينزل بها وحى ولم ترد بها سنة وهؤلاء كأبي عصمة فرج بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرمانى، وأحمد بن عبد الله الجويباري.

وقد اعترف أبو عصمة المروزي بذلك، فقد قيل له: من أين لك عن عكرمة، عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: «إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي محمد بن إسحق، فوضعت هذا الحديث حسبة».

وقال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في شأن الحديث الذي يروى عن أبي بن كعب عن رسول الله (صلى

ﻻ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺍﻟﻪ) ﻓﻲ ﻓﻀﻞ ﻗﺮﺁﻥ ﺳﻮﺭﺓ ﺳﻮﺭﺓ: «ﺇﻧﻲ ﺭﺁﻳﺖ ﻧﺎﺱ ﻗﺪ ﺃﻋﺮﺿﻮﺍ ﻋﻦ ﻗﺮﺁﻥ، ﻭﺍﺷﺘﻐﻠﻮﺍ ﺑﻔﻘﻪ ﺃﺑﻲ ﺣﻨﻴﻔﺔ، ﻭﻣﻐﺎﺯﻱ ﻣﺤﻤﺪ ﺑﻦ ﺇﺳﺤﻖ، ﻓﻮﺿﻌﺖ ﻫﺬﺍ ﻫﺪﻱ ﺣﺴﺒﺔ».

ﻭﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﻋﻤﺮﻭ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺑﻦ ﺍﻟﺼﻼﺡ ﻓﻲ ﺷﺄﻥ ﻫﺪﻱ ﺍﻟﺬﻱ ﻳﺮﻭﻯ ﻋﻦ ﺃﻳﻲ ﺑﻦ ﻛﻌﺐ ﻋﻦ ﺭﺳﻮﻝ ﻻ (ﺼﻠﻰ ﻻ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺍﻟﻪ) ﻓﻲ ﻓﻀﻞ ﻗﺮﺁﻥ ﺳﻮﺭﺓ ﺳﻮﺭﺓ:

«ﻗﺪ ﺑﺤﺚ ﺑﺎﺣﺚ ﻋﻦ ﻣﺨﺮﺟﻪ ﺣﺘﻰ ﺍﻧﺘﻬﻰ ﺇﻟﻰ ﻣﻦ ﺍﻋﺘﺮﻑ ﺑﺄﻧﻪ ﻭﺟﻤﺎﻋﺔ ﻭﺿﻌﻮﻩ. ﻭﻗﺪ ﺁﺧﻂ ﺍﻟﻮﺍﺣﺪﻱ ﻭﺟﻤﺎﻋﺔ ﻣﻦ ﻣﻔﺴﺮﻳﻦ ﺣﻴﺚ ﺃﻭﺩﻋﻮﻩ ﻓﻲ ﺗﻔﺎﺳﻴﺮﻫﻢ» (1).

ﺍﻧﺰﺭ ﺇﻟﻰ ﻫﺆﻻ ﻣﺠﺘﺮﺋﻴﻦ ﻋﻠﻰ ﻻ ﻛﻴﻒ ﻳﻜﺬﺑﻮﻥ ﻋﻠﻰ ﺭﺳﻮﻝ ﻻ (ﺼﻠﻰ ﻻ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺍﻟﻪ) ﻓﻲ

(1) ﻧﻔﺲ ﻣﺼﺪﺭ ﺟ 1 ﺻ 78 ، 79.

(29)

ﻫﺪﻱ؟ ﺗﻢ ﻳﺠﻌﻠﻮﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻔﺘﺮﺍﺀ ﺣﺴﺒﺔ ﻳﺘﻘﺮﺑﻮﻥ ﺑﻪ ﺇﻟﻰ ﻻ:

{ﻛﺬﻟﻚ ﺯﻳﻦ ﻟﻠﻤﺴﺮﻓﻴﻦ ﻣﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﻌﻤﻠﻮﻥ} (10: 12).

ﺍﻟﺘﺪﺑﻴﺮ ﻓﻲ ﻗﺮﺁﻥ ﻭﻣﻌﺮﻓﺔ ﺗﻔﺴﻴﺮﻩ:

ﻭﺭﺩ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺤﺚ ﺍﻟﺸﺪﻳﺪ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺏ ﺍﻟﻌﺰﻳﺰ، ﻭﻓﻲ ﺍﻟﺴﻨﺔ ﺍﻟﺼﺤﻴﺤﺔ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺘﺪﺑﻴﺮ ﻓﻲ ﻣﻌﺎﻧﻲ ﻗﺮﺁﻥ ﻭﺍﻟﺘﻔﻜﺮ ﻓﻲ ﻣﻘﺎﺼﺪﻩ ﻭﺍﻫﺪﺍﻓﻪ. ﻗﺎﻝ ﻻ ﺗﻌﺎﻟﻰ:

{ﺃﻓﻼ ﻳﺘﺪﺑﺮﻭﻥ ﻗﺮﺁﻥ ﺃﻡ ﻋﻠﻰ ﻗﻠﻮﺏ ﺍﻗﻔﺎﻟﻬﺎ} (47: 24).

ﻭﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺍﻻﻳﺔ ﺍﻟﻜﺮﻳﻤﺔ ﺗﻮﺑﻴﺦ ﻋﻈﻴﻢ ﻋﻠﻰ ﺗﺮﻙ ﺍﻟﺘﺪﺑﻴﺮ ﻓﻲ ﻗﺮﺁﻥ. ﻭﻓﻲ ﻫﺪﻱ ﻋﻦ ﺃﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻋﻦ ﺍﻟﻨﺒﻲ (ﺼﻠﻰ ﻻ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺍﻟﻪ) ﺃﻧﻪ ﻗﺎﻝ: «ﺃﻋﺮﺑﻮﺍ ﻗﺮﺁﻥ ﻭﺍﻟﺘﻤﺴﻮﺍ ﻏﺮﺍﺋﺒﻪ» (1).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة انهم كانوا يأخذون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل» (2).

وعن عثمان وابن مسعود وأبي:

"ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعا".

(1) بحار الأنوار ر: 92 / 106، الباب: 9، الحديث: 1.

(2) تفسير القرطبي: 1 / 6.

(30)

وعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لردك إلى معاد} (28: 85) (1).

والأحاديث في فضل التدبر في القرآن كثيرة. ففي الجزء التاسع عشر من بحار الأنوار (2) طائفة كبيرة من هذه الأحاديث، على أن ذلك لا يحتاج إلى تتبع أخبار وآثار، فإن القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله نظاما يقتدي الناس به في دنياهم، ويستضيئون بنوره في سلوكهم إلى آخرهم. وهذه النتائج لا تحصل إلا بالتدبر فيه والتفكير في معانيه. وهذا أمر يحكم به العقل. وكل ما ورد من الأحاديث أو من الآيات في فضل التدبر فهي ترشد إليه.

ففي الكافي بإسناده عن الزهري، قال: سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول:

«آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينه ينبغي لك أن تنظر ما فيها» (3).

(1) تفسير القرطبي: 1 / 26.

(2) راجع بحار الأنوار 6 / 92، من الطبعة الحديثة.

(3) اصول الكافي: 2 / 609، الحديث: 2.

(31)

المصدر: البيان في تفسير القرآن - ص ١٦ الى ٣١